

الإسلام في جيل الصحابة

جيل الصحابة.. خير الناس..

السر في نقاء النبع الذي استقي منه الصحابة

الصحابة كانوا يتعاملون مع القرآن بمنهج التلقي للتنفيذ

يمكننا نحن أيضا أن نصل إلى ما وصل إليه الصحابة

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد..

جيل الصحابة.. خير الناس..

إنه يوم أن جاء الإسلام أول مرة في الجزيرة العربية.. تَكَوَّنَ هذا الجيل الفريد جيل الصحابة رضوان الله عليهم.. إنه ذلك الجيل الذي ترجم تعاليم الإسلام إلي واقع.. وارتفع بهذا الواقع إلى درجة المثال.. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وأصبح هذا الجيل المتفرد منارة لكل من يحاول في الأجيال التالية أن يصعد لمستوى تلك القمة السامقة.. إنه حقاً خير سلف وذلك تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: {خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته}. "رواه البخاري".

جيل الصحابة رضوان الله عليهم جيل فريد لا يفسره وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم.. فالدعوة للناس كافة وغير مقتصرة على حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.. إن قرآن هذه

الدعوة بين أيدينا وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهدية العملي وسيرته الكريمة.. كلها بين أيدينا كذلك كما كانت بأيدي الصحابة.



السر في نقاء النبع الذي استقى منه الصحابة

ولكن النبع الذي استقى منه الصحابة واقتصروا عليه هو نبع القرآن.. بالرغم من وجود الينابيع الأخرى مثل الحضارات الرومانية والإغريقية والفارسية وحضارة الهند والصين.
لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد صنع جيل خالص القلب والعقل والتصور والشعور.. خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي، الذي يتضمنه القرآن الكريم.
لذلك فإن جيل الصحابة استقى من ذلك النبع وحده.. فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد..
ثم لما اختلطت الينابيع تخرج على تلك الينابيع المختلطة.. سائر الأجيال بعد ذلك الجيل.. فلم يتكرر ذلك الجيل الفريد.



الصحابة كانوا يتعاملون مع القرآن بمنهج التلقي للتنفيذ

إن الجيل الأول الفريد.. لم يكونوا يقرءون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع.. ولا بقصد التذوق والمتاع.. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة.. لمجرد الثقافة.. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله ليعمل به فور سماعه.. بالضبط كما يتلقى الجندي في الميدان " الأمر اليومي " ليعمل به فور تلقيه.. ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يحملها على عاتقه.

هذا الشعور.. شعور التلقي للتنفيذ.. كان يفتح لجيل الصحابة من القرآن آفاقاً.. لم تكن لتُفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع فقط.. لأن القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل.

إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول.. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرَّج الأجيال التي تليه.

هناك أيضاً عامل مهم ساهم في صناعة ذلك الجيل الفريد.. لقد كان الرجل حين يدخل الإسلام يخلع على عتبه كل ماضيه في الجاهلية.. ويشعر أنه يبدأ عهداً جديداً.. وكان يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف

وفي تلك اللحظة.. كانت تنشأ عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه.. تنشأ عنها عزلة كاملة في صلته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية.. فهو قد انفصل نثائياً من بيئته الجاهلية واتصل ببيئته الإسلامية ومنحها و منح قيادتها كل ولائه وطاعته وتبعيته.. ولم يعد لضغط التصور الجاهلي ولا لتقاليد المجتمع الجاهلي عليه من سبيل.

● فلا بد إذاً.. لكي نصل لمستوى ذلك الجيل الفريد.. أن نتجرد من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها.

● لا بد إذاً.. أن نرجع إلى النبع الخالص الذي استمد منه الصحابة.. كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

● لا بد إذاً.. حين نرجع إلى هذا النبع الصافي.. أن نرجع إليه بشعور التلقي للتنفيذ والعمل.. لا بشعور الدراسة والمتاع.

- لا بد إذاً.. أن نرجع إليه لنعرف ماذا يطلب منا أن نكون.. لكي نكون.
- ثم أخيراً.. لا بد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي وتصوراتهِ وتقاليده.. وألا نُعدّل نحن قيمنا وتصوراتنا.

إن هذا الجيل القرآني الفريد هو نتاج تربية الله سبحانه وتعالى لهذه الفئة المؤمنة التي حظيت بهذا اللقاء الكريم بينها وبين وحي الله وبينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.. تلك الفترة التي التقت فيها الأرض بالسماء، فعاشوا فترة من الزمن تحيطهم وتحوّطهم مشاعر وأحاسيس قلما تتكرر في تاريخ البشرية مرة ثانية.



يمكننا نحن أيضاً أن نصل إلى ما وصل إليه الصحابة

لقد خرجت هذه الدعوة جيلاً من الناس.. لم يكونوا ملائكة، ولم يكونوا كائنات آتية من السماء، أو من كهف، أو من كوكبٍ بعيد.. هم جيلٌ من الناس.. كمثل كل الناس في كل وقت وفي كل زمان وفي كل مكان.. فليسوا عجباً ولا عجيبةً في التاريخ.. وإنما هم جيلٌ من الناس.. استطاعوا بفضلٍ من الله.. وبمعاونة من رسوله صلى الله عليه وسلم.. وبالعوامل التي ذكرناها.. استطاعوا واستحقوا أن يكونوا جيلاً مميزاً.. وأن يكونوا جيلاً متفوقاً.. وأن يكونوا جيلاً يستحق أن يثني الله سبحانه وتعالى عليه.. وأن يثني عليه رسوله صلى الله عليه وسلم.. فهم جيلٌ من الناس.. وهذا يعني أن كل الناس لو أرادوا أن يكونوا كذلك فسينجحون.. إذا استوفوا كل الشروط.. واقتفوا تلك الخطوات التي خطاها ذلك الرهط العظيم الذي التقى بالقرآن.. والتقى برسول القرآن صلى الله عليه وسلم.. واستطاع أن يحقق ما لم تحقّقه فئة من البشر منذ أن خلق الإنسان وحتى تنتهي هذه الدنيا.

فلم تأت أمة كتلك الأمة.. ولن يأتي جيل كذلك الجيل.. ولن يأتي طراز من الناس كذلك الطراز. فلا شك أنها صورة مبهرة.. تجعل الإنسان الصادق مشوقاً إلى أن يعيش مثلما عاش هذا الجيل.. ويتمنى لو أنه كان فرداً من هذا الجيل.. ويتمنى أن ينجح في أن يحقق بعض ما حققه هذا الجيل.. وليس كل ما حققه.. لأن ما حققه ذلك الجيل كان شيئاً عجبياً... وشيئاً ضخماً جداً.. وصورة لم تحدث في تاريخ البشرية من قبل.. ولن تتكرر من بعد.. وعندما نقول أنه جيلٌ من الناس.. فهذا يعني أننا مطالبون بأن نقتفى آثارهم.. وأن نسعى للوصول إلى هذا الأفق.

صحيح.. أنه لن يستطيع جيلٌ من الأجيال أن يلحق بذلك الجيل العظيم.. فالذي يبدو مستحيلاً هو أن يتحقق جيلٌ بأكمله بهذا العدد الكبير الضخم في وقت واحد على ذلك المستوى.. ولكن ذلك لا يمنع أن يصل بعض الأفراد من الناس.. أو عشرات من الناس.. إلى ذلك المستوى الفريد.. وهذا يعطي أملاً لأصحاب الهمم العالية ولأصحاب النفوس الكبيرة أن تحاول أن تقتفى ذلك الأثر وهذه الخطوات لعلهم يستطيعون أن يصلوا إلى أن يكونوا أفراداً من ذلك الجيل السامق.

يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.. إذن.. هناك السابقون من المهاجرين ومن الأنصار.. وهناك الذين اتبعوهم بإحسان.. ففي الإمكان إذن أن يأتي بعدهم أفرادٌ وأفذاذٌ من الناس يستطيعون أن يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء السابقون من المهاجرين والأنصار.. وبذلك لا يقفل باب الأمل.. ولا يقفل باب التنافس.. ولا يقفل باب السعي للوصول إلى تحقيق ذلك الأفق إذا كانت لنا همة عالية.. وكانت لنا إرادة غالبة.. وكان لنا حرص

على بلوغ ذلك الأفق الرائع الذي وصل إليه هؤلاء الصحابة.. رضوان الله عليهم أجمعين.. فلا شك أن كثيرا من الخير الموجود في البشرية الآن.. هو من آثار هذه النخبة المتميزة من البشر.. والتي تركت بصماتها على تاريخ البشرية من بعدها وحتى اليوم في كل مجالات الحياة.

